ثقافة

الشعر الحديث والبدايات الثورية

تقدم الشاعرة الفلسطينية سلمى الخضراء الجيوسي في دراستها « الشعر العربي المعاصر ، تطوره ومستقبله » المنشورة في مجلة « عالم الفكر » — المجلد الرابع ، العدد الثاني — سجلا يكاد يكون شاملا ، لاهم التيارات التي تتجاذب الحركة الشعرية المعاصرة . فالدراسة تعود الى بدايات هذا القرن لتكتشف الممهدات الفنية والثقافية التي أدت الى بروز الحركة الشعرية الحديثة بمصطلحاتها وتياراتها الرئيسية. كما تقيم في الوقت نفسه بناء نقديا لا ينحصر في النقد الفني والجمالي، بل يمتد ليستوعب علاقة الشعر بالواقع السياسي وبالتحولات الاجتماعية التي طرأت على حياتنا العربية بعد « نكبة » فلسطين ١٩٤٨ . فعام « النكبة » هو الحد الفاصل بين القديم والحديث في رأي الكاتبة : « ولعل عام ١٩٤٨ هو التاريخ الوحيد الممكن اعتباره نقطة تحول فوري وحاسم في الادب العربي الحديث ، فقد اعلنت نكبة ١٩٤٨ نهائيا وبشكل قاطع افلاس نظام الحياة القديم وسقوطه ، وبرز عندنا جيل من شعراء الرفض والادانة والانكار » — وهي لا تنزلق الى معادلات العلاقة المباشرة للشعر بالتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية . بل تعتبر هذه التطورات صورة متحركة في خلفية الدراسة ، وتترك لنفسها البحث الادبي والفني المباشر .

تقسم الدراسة الى قسمين رئيسيين :

تعالج الكاتبة في **القسم الاول** مقدمات الحركة الشعرية الجديدة . **الرومنطيقية** المرتبطة بالثورة على الكلاسيكية التي مثلها شوقي . ثم **الاتجاه الرمزي** الذي مثله اديب مظهر وسعيد عقل . ثم تنتقل بعد هذا التقسيم الافقي الى تقسيم عامودي فتناقش **اللهجة والموقف من الحياة** متوقفة عند الاتجاه الشعري الساخر ، وعلى الموقف المزدوج من المرأة ، وتنتقل الى **اللغة الشعرية** لتتحدث عن الانجازات اللغوية الجديدة في هذه المرحلة ثم تتوقف عند ظاهرة **الشعر السياسي** كما تمثل في شعر الجواهري وتنتقل بعد ذلك الى مناقشة **مسألة الشكل الشعري** لتكتشف معها اهمية التجارب التشكيلية التي سبقت الحركة الشعرية الحديثة متوقفة عند تجارب العديد من الشعراء الذين استطاعوا بثورتهم على الشكل القديم التمهيد لتحرر الشعور العربي الحديث من القوالب الجامدة .

أما **القسم الثاني** من الدراسة فهو مخصص لدراسة الحركة الشعرية المعاصرة كما ظهرت بداياتها في الخمسينات : « واذا نظرنا الى الشعر المعاصر استطعنا ان نقول انه في جوهره شعر سياسي بمعنى واحد : هو انه ينزع الى التأكيد على ضرورة تغيير العالم » . وتقسم الدراسة شعر الطليعة الى قسمين : الشعر العقائدي : السياب في شعره الباكر والبياتي ، والشعر الذي لم تسيطر عليه عقائدية مؤمنة فهؤلاء « كانوا شديدي الصرامة والاتهام والادانة في حكمهم على عصرهم ولم يسر بعضهم (ادونيس ، بلند الحيدري ، السياب — بعد تحوله عن الماركسية) ان اسباب الامل أصبحت مشروعة ، فأرهصوا في شعرهم لحزيران ١٩٦٧ » . ونحن سنتوقف في استعراض هذا القسم من الدراسة عند نقطتين :

١ — ترى الجيوسي ان الشعراء كانوا أسبق من المفكرين الى اكتشاف الذات . « فالكتب الفكرية لم تجرؤ على الرفض الكامل الذي جرؤ عليه الشعر ، ولا على تلك الادانة الكاملة ، بل اتخذت موقفا تبشيريا قاصرا اكتفى بالوعظ والارشاد . ولم يعلن المفكرون سقوط القيم التي بنى عليها المجتمع التقليدي وافلاسها الروحي والانساني الا بعد رؤية الشعراء » . هذه النقطة البالغة الاهمية